الدينية. لكنها، في الوقت ذاته، تستغل الدين في وعظ الفقراء كي يرضوا بواقع الاستغلال، وفي أيام الاستعمار كي يرضوا بواقع الاستعمار، وتستغل الدين كي تحرف اهتمام المؤمنين عن القضايا الاجتماعية الملحة، التي يعانون منها، عن مستواهم المعاشي، عن قضايا الصحة، والتعليم، عن القضايا العامة المتعلقة بتطور المجتمع عموماً، وكي تبشر بايديولوجيات شد المجتمع الى الوراء، أي الى ايهام المؤمنين بتصور للمجتمع يجعل الوضع البورجوازي القائم أشد تقدمية منه. حينئذٍ يكون كلا الاحتمالين، أي رضى الجماهير المؤمنين بالواقع أو النشاط في اتجاه رجعي، مفيداً للبورجوازية، لأنها تجند، بالاعتماد على ذلك، الأنصار الضروريين لتجميد المجتمع، ولمحاربة التيارات التقدمية التي تظهر فيه.

في هذا الاطار نشأت الأحزاب الدينية الأصولية على اختلافها، وأحزاب الديمقراطيات الدينية، وأحزاب الاشتراكيات الدينية، وأحزاب العمال الدينية، الخ. وفي هذا الاطار، أيضاً، نشأت الصهيونية، بأحزابها المختلفة، ولكنها تميزت عن غيرها بأمور تفصيلية عديدة، بعضها هام وبعضها ثانوي.

يعود تقرّب الارستقراطية والبورجوازية الاوروبيتين من المصرفيين اليهود الى ما قبل الثورة الفرنسية. الواقع أن الطرفين ينتميان الى طبقة واحدة، ذات مصالح مالية واقتصادية مشتركة. وفي أيام الثورة الفرنسية، لعب التحالف الارستقراطي ـ البورجوازي الأوروبي، وخصوصاً الانكليزي، دوراً مضاداً للثورة؛ ولعبت البورجوازية الفرنسية دوراً قمعياً شرساً تجاه الجماهير الفقيرة، التي جندت نفسها في الثورة، ودوراً تآمرياً كبيراً في ضرب الراديكالية الثورية، التي كان يمثلها روبسبير.

كانت حكومة الديركتوار هي الوريث لانجازات حكومة روبسبير الضخمة في المجالات الاقتصادية والمعاشية والعسكرية. سرعان ما خربت الديركتوار الوضع المالي والمعاشي في البلاد لحساب المصالح البورجوازية، فارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً، واحتكرت المواد التموينية، وألغيت أغلب الخدمات العامة، وبقيت حكومة الديركتوار تتخبط في الأوضاع الداخلية، حتى أتى الانقلاب العسكري الذي نظمه في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٩٩ سييس، ونابليون بونابرت، وجوزيف فوشيه، وتاليران؛ وهو الانقلاب الذي تطور الى انفراد نابليون بالسلطة وتعيين نفسه امبراطوراً.

استفادت حكومة الديركتوار، وبعد ذلك نابليون، من الجيش الذي بني في أيام روبسبير من أجل اهداف توسعية. وأدى هذا، كما هو معروف، الى سقوط نابليون، والى النكسة الرجعية في فرنسا بعودة الملكية اليها.

في صراع نابليون مع انكلترا، لعب المصرفيون اليهود دوراً مزدوجاً بين الطرفين؛ فكانوا يقصون الربح من الجانبين، وكان دورهم السياسي راجحاً لصالح انكلترا، لانها تمثل القوة الارستقراطية ـ البورجوازية، التي كان يرى اولئك المصرفيون مستقبلهم في جانبها.

ربما في أيام نابليون ظهر المشروع الصهيوني عملياً لأول مرة الى الوجود. ففي ٢٠ نيسان (ابريل) ١٧٩٩، وجه نابليون نداء الى يهود العالم كي يعودوا الى «أرض الآباء». كانت غايته، حتماً، تجنيد اليهود في مخططاته التوسعية ومحاباة المصرفيين اليهود سياسياً. لم يحقق نابليون شيئاً، يذكر، في هذا الاتجاه، ولكنه طرح الفكرة التي سيكون من شأنها تحويل الحنين الديني البريء الى الاماكن المقدسة الى وسيلة سياسية متعددة الأغراض،